لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته"[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا
بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ٢البقرة:٢٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ٢البقرة:٢٦.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا﴾، ﴿بَعُوضَةً﴾، ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Verily, ALLAH does not disparage to give an illustration (in fitness & danger to man) **as small as a** (female) **mosquito or even smaller** (like the bacteria & viruses)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لم تُعرف الأسلحة البيولوجية إلا حديثًا؛ ولكن أخطر القتلة يستخدمها بمهارة منذ ملايين السنين، آلة حربية خطيرة ضحاياها بالملايين؛ ولم يُعرف خطرها سوى من بضع سنين، ولا يمكن التخلص منها؛ مهما اجتمعت جيوش الدول الكبيرة أو امتلكت من أسلحة خطيرة، تلك هي البعوضة التي ظلت لضآلتها محل استهتار واستحقار منذ زمن بعيد؛ ولم توحي بخطر داهم لأحد، لكن خطرها اليوم يقين؛ لما تنشره من أمراض فتاكة؛ كما لو كانت طائرة حربية عملاقة، ولو عرف الإنسان زمن النبوة أنها القاتل الأول من بين جميع الحشرات على وجه الأرض؛ لفر منها فراره من الأسد.

(١) تنقل البعوضة طفيل الملاريا Malaria، فيهاجم الكريات الدموية الحمراء، والسبب في دورية النوبات هو الانفجار الجماعي للكريات المصابة دوريا، ويوجد نوع من الطفيل (Plasmodium Falciparum) يسبب الملاريا الخبيثة، وسميت كذلك لكونها تؤدي إلى موت حوالي ٩٥% من حالات الإصابة بالملاريا، وطبقا لتصريحات منظمة الصحة العالمية مازالت الملاريا تصيب حوالي ٤٠٠ مليون ضحية سنويا في العالم؛ وتقتل حوالي ٢ مليون شخص معظمهم من الأطفال، ولا يوجد لقاح فعال ضدها حتى الآن، ومع نهاية القرن العشرين قلت فاعلية العقارات المستخدمة لمكافحتها مثل عقار الكلوروكين Chloroquine.

(٢) مرض أبو الركب أو حُمَّى الضنك النزفية (أو الدنج أو الدنك) Dengue fever؛ وقد سميت بمرض أبو الركب لألم المفاصل وسببها فيروس؛ وقد تسمى حمى تكسير العظام Break-bone fever لألم العظام وتتسبب في دخول حوالي ٠,٥ مليون سنويا إلى المستشفيات ووقوع آلاف الوفيات، وقد سجلت حالاتها في أكثر من ١٠٠ دولة، ولا يتوفر لهذا المرض الخطير حتى الآن أي لقاح ولا يوجد له أي علاج ناجح.

(٣) الحمى النازفة Hemorrhagic fever؛ وعلاماته حمي ونزيف بعدة مناطق نتيجة فيروس قد تنقله البعوضة.

(٤) الحمى الصفراء Yellow fever؛ وسببها فيروس يحطم الخلايا الكبدية ويؤدي إلى صفراء مع الحمى.

(٥) الحمى المخية Encephalitis؛ وهي مرض فيروسي خطير، ومن علاماته السريرية تصلب في رقبة المصاب مع صعوبة تمييلها نحو الخلف بالإضافة إلى نوبات تشنجية، وتصل نسبة الوفيات إلى حوالي ٧٠%.

حمى الوادي المتصدع تفتك بالمواشي.

(٦) حمى الوادي المتصدع Rift Valley fever؛ سببها فيروس يصيب المواشي، وقد يؤدي إلى نفوقها بأعداد كبيرة، وقد يُصاب الإنسان إما من البعوضة أو من خلال اللحوم المصابة والمواد الإخراجية للحيوان المريض.

داء الفيل يصيب الأقدام عادة بالتضخم نتيجة انسداد الأوعية اللمفاوية بطفيل الفلاريا الذي تنقله البعوضة.

(٧) داء الفيل Elephantiasis؛ وهو عبارة عن تورم بعض المناطق خاصة القدمين لانسداد الأوعية الليمفاوية بديدان خيطية تسمى الفلاريا Filariasis؛ ويصيب المرض حوالي ٩٠ مليون، وينتشر في المناطق الحارة[٣].

[٣] موسوعة ويكيبيديا، والموسوعة العربية العالمية - النسخة الإلكترونية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (مادة بعوضة).

البعوضة إذن صغيرة لكنها خطيرة؛ وقائمة الأمراض الفتاكة التي تسببها للإنسان، ولم يكن لأحد العلم بها من قبل؛ برهان يكشف لماذا يَخُصُّهَا القرآن الكريم دون بقية أمثالها من الحشرات بنفي الاستحياء من ذكرها دالاً على خطرها، والمعلومات اليوم وفيرة على سابق تجهيز البعوضة بإمكانيات عديدة تمكنها من كسب قوتها والتغلب على الإنسان وتحقيق التحدي بها في القرآن، فهي تمتلك زوج من الأعين المركبة يُمْكِنُهُمَا الرؤية في مجال واسع واكتشاف الضحية، وتتوجه نحو الضحية بتتبع ما يصدر من الحرارة وإفرازات العرق والزفير، وقد يصل معدل خفقان الجناحين: ٦٠٠ خفقة في الثانية؛ وهذا هو سبب الطنين، وقرون الاستشعار آذان لإدراك كل من الزوجين نوعه بدرجة الطنين؛ وأدوات لاستشعار زفير الضحية وإفرازات الجلد، والبعوضة يُمكنها قطع حوالي ٧٠ كم في اليوم، وفم الأنثى ثاقب ماص، ولها إبرة يحيط بها خرطوم مرن قابل للانثناء حين غرز الإبرة عميقا في جلد الضحية، وبعد ثقب الجلد تفرز على الجرح سوائل من غدتها اللعابية تؤدي إلى الاحتقان وتمنع التجلط لينساب الدم بسهولة، وتدخل الطفيليات والفيروسات مع دم الضحية المُصَابَة إلى معدتها؛ ثم تُصِيب الغدة اللعابية وتدخل مع سوائلها إلى دم الضحية الجديدة.

بعوضة النمر الأسيوي الشرسة

وفي عام ١٩٩٥ غزت أمريكا بعوضة شرسة تسمى بالنمر الأسيوي، ويمكنها نشر الحمى المخية وأبو الركب، ولاحتياج بيضها للماء قد تكفيه ليفقس قطرة ماء ضئيلة؛ وعلى ضآلة تلك البعوضة قد أعجزت الحكومة الأمريكية، فأي تحدي إذن لغرور الإنسان ببعوضة ضئيلة لا يُعبأ بها؛ تترصد به ولا يُمكنه الإفلات، فليست البعوضة إذن كائنًا يُستهان به ويُذكر لضآلته على استحياء، وليس من قبيل المصادفة إذن أن يختار القرآن الكريم البعوضة تحديدًا نافيا الاستحياء عن ذكرها مُتَحَدِّيًا بها؛ وهي القاتل الأول للإنسان؛ ناهيك عما يفوقها ضآلة ويُشاركها تهديد الإنسان.

أنطوني فان ليفينهوك Antonie van Leeuwenhoek (١٦٣٢ – ١٧٢٣) ونسخة تقليد مشابهة لمجهره البدائي.

أنطوني فان ليفينهوك Antonie van Leeuwenhoek (١٦٣٢ – ١٧٢٣) الهولندي الشغوف بالاكتشاف هو أول من استخدم مجهر بدائي ليكتشف عالما رائعا لا تراه عين من الأجسام الدقيقة للمرة الأولى في التاريخ، ولكن أعظم اكتشاف له كان سنة ١٦٧٤ عندما سجل أول ملاحظاته عن الميكروبات وهو يفحص إحدى قطع القماش فرأى كائنات حية عصوية الشكل، وفي قطرة ماء واحدة اكتشف عالماً نشطا جديداً لا شك فيه من الكائنات الحية الدقيقة، وقد تمكن من العثور على الميكروبات في أماكن كثيرة كالمستنقعات وفم الإنسان، وعلى الرغم من أنه لم يعرف ما الذي اكتشفه بالضبط؛ ومع ذلك فإن الذي اكتشفه كانت له أهمية عظمى في تاريخ البشرية[٤].

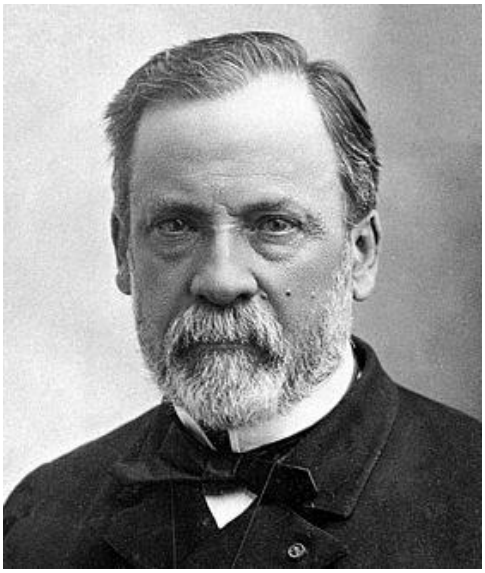

لويس باستير Louis Pasteur (١٨٢٢ - ١٨٩٥)

ولم تظهر أهمية وخطورة اكتشاف ليفينهوك للميكروبات إلا بعد ذلك بحوالي مائتي عام؛ عندما ظهر العالم الفرنسي لويس باستير Louis Pasteur (١٨٢٢ - ١٨٩٥)؛ وهو أحد أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة Microbiology، وقد ظل علم الأحياء الدقيقة خاملاً إلى القرن التاسع عشر الميلادي؛ عندما تطورت صناعة العدسات والمجاهر[٥].

---

[٤] موسوعة ويكيبيديا.

[٥] موسوعة ويكيبيديا.

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
(١٨٨٩ - ١٩٥٦)

وفي رائعة مُبهرة يُنْفَي الاستحياء عن ذكر بعوضة بيانًا لخطرها، ويُشْرَك معها الأكثر ضآلة ولم يكن معروفًا أصغر منها، قال السعدي: "(إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلا مَا) أي: أيَّ مثل كان؛ (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)، لاشتمال الأمثال على الحكمة وإيضاح الحق؛ والله لا يستحيي من الحق..، ولهذا قال: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)، فيتفهمونها ويتفكرون فيها؛ فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل، ازداد بذلك علمهم وإيمانهم، وإلا علموا أنها حق وما اشتملت عليه حق؛ وإن خفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأن الله لم يضربها عبثا، بل لحكمة بالغة"[٦].

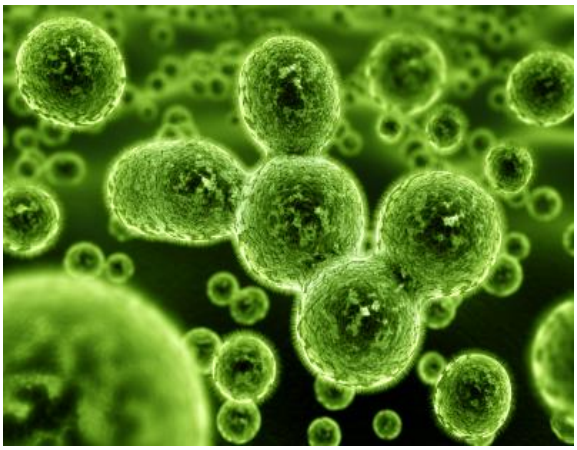

وبالفعل بعد اكتشاف المجهر في القرن السابع عشر كُشفت أنواع لا تحصى من الكائنات الدقيقة تفوق البعوضة في الصغر وتشاركها الخطورة على حياة الإنسان، والكل الآن شاهد عيان على صدق القرآن؛ وتسطع أمامه بينات النبوة الخاتمة، ودلالة حرف الفاء على التدرج في قوله (فما فوقها) تعني طيفاً هائلا من الكائنات الحية الدقيقة التي لا تراها عين تتدرج من الحقير الحجم للأحقر، قال شهاب الدين الخفاجي: "(وفي) الفوقية في المعنى الذي وقع التمثيل فيه وهو الصغر والحقارة..؛ تنزل من الحقير للأحقر"[٧]، وقد أصبح يقينًا اليوم أن كل إنسان مُعَرَّض لبلايين الكائنات الحية الدقيقة؛ كالطفيليات والفطريات والبكتريا والفيروسات؛ تنتشر في الهواء والماء وعلى ملابسه وجلده وداخله تترصد به على الدوام وقد تلحق الضرر بالإنسان أو تؤدي به إلى الموت ولا مهرب له، وكل فيروس متخصص في عمله بلا علم منه وموجه بتقدير؛ ليتخير نوعًا من الخلايا ويسبب نوعا من المرض، وكل كائن شاهد بحسن التدبير وسبق التقدير؛ وإلا فمن عَلَّم فيروس أن يستحوذ على بكتريا لتصبح محضنًا لذريته، وهكذا في بيئة لا تدرك خطرًا لبعوضة ولا تعرف ما يفوقها ضآلة؛ فاجأهم القرآن بضرب المثل، قالوا في مناهج جامعة المدينة العالمية: "كان الجهل بأخطار البعوض وبوجود كائنات أدق منه بكثير من وراء استنكار.. ضرب المثل"[٨].

---

[٦] عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (ص٤٧).

[٧] شهاب الدين الخفاجي؛ حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: عنايه القاضي وكفاية الراضي، دار صادر بيروت (١٢\ ٩٠).

[٨] جامعة المدينة العالمية؛ مناهج جامعة المدينة العالمية، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (ص: ٢٠٠).

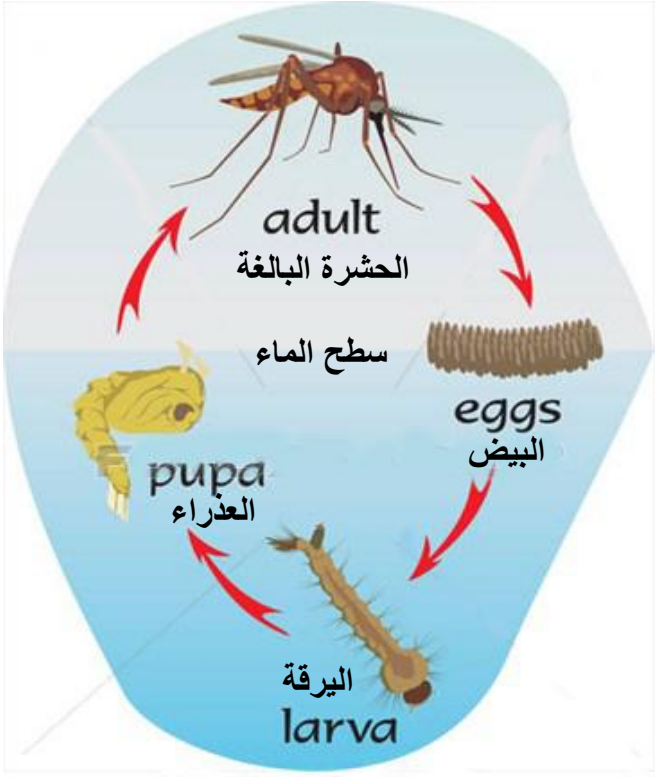

وتنكير لفظ (بعوضة) يفيد التعدد، وبالفعل تبلغ أنواع البعوض حوالي ثلاثة آلاف نوع، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسة: (١) الأنوفيليس Anopheles: وهذا النوع قد ينقل طفيل الملاريا وطفيل الفلاريا وفيروس الحمى المخية، (٢) الكيولكس Culex: قد ينقل طفيل الفلاريا وفيروس الحمى المخية، (٣) الإيديز Aedes: قد ينقل فيروسات الحمى الصفراء وحمى أبو الركب والحمى الدماغية، وتتكون دورة حياة البعوض من أربع مراحل تبدأ بمرحلة البيض، ويحتاج الفقس إلى توفر الماء، وتنتج الأنثى حوالي: ١٠٠ - ٤٠٠ بيضة على حسب النوع، وبعد فقس البيضة تخرج اليرقة Larva، ولليرقات حركات اهتزازية؛ فسميت الدعاميص أو الهزازات Wigglers، ثم تتحول اليرقة إلى عذراء Pupa؛ ولها قفزات بهلوانية؛ فسميت البهلوان أو الشقلباظ Tumbler، ثم تنسلخ منها الحشرة البالغة Adult وتخرج فوق سطح الماء، وتحتاج دورة لأقل من أسبوعين مع توفر الماء لتنتج بعوضة واحدة أكثر من مائة بعوضة[٩].

ويجد المتأمل أن تنويع التذكير والتأنيث والإفراد والجمع في وصف الحشرات في القرآن الكريم مقصود؛ ويتلاءم مع الطبيعة البيولوجية والسلوكية لكل منها، فقد ذُكِرَ النمل بالجمع والتذكير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ ٢٧النمل:١٨، والمعلوم أن سرب النمل مختلط الجنس فورد بتغليب التذكير، وذُكِرَت الفراشات كذلك بالجمع وتغليب التذكير: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ١٠١القارعة:٤، وذُكِرَ الذباب كذلك بالجمع وتغليب التذكير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ ٢٢الحج:٧٣، فذكور النمل والفراش والذباب إذن مشاركة الإناث في الوصف، بينما لا تشارك ذكور النحل الشغالات في العمل بالحقول والخلية ولا دور لها سوى وقت التلقيح؛ فاكتُفِيَ بالتأنيث: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ ١٦النحل:٦٨، وأنثى العنكبوت هي التي تبني الشباك وتصطاد ولا يشاركها الذكر؛ فناسب وصفها بالإفراد والتأنيث: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ ٢٩العنكبوت:٤١، وورد وصف البعوض مثلها بالإفراد والتأنيث: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ٢البقرة:٢٦، فالوصف إذن لجنس الأنثى فحسب ولا يشاركها الذكر، وثبت بالفعل أنها هي التي تُهَاجم الإنسان وتسبب الأمراض؛ بينما يتغذى الذكر على رحيق الأزهار ولا علاقة له بالإنسان، فلا يُقَال إذن أن كلمات مثل فراشة ونحلة وذبابة في لغة العرب لا تميز بين الجنسين، لأن التمييز في القرآن الكريم قائم على التنويع والتفريق بينهم في نسق النظم بما يُطابق الواقع؛ وهو ما علمناه اليوم.

[٩] موسوعة ويكيبيديا، والموسوعة العربية العالمية - النسخة الإلكترونية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (مادة بعوضة).

ألفونس لافران Alphonse Laveran
(١٨٤٥ – ١٩٢٢)

رونالد روس Ronald Ross
(١٨٥٧ - ١٩٣٢)

ولم يُعرف إلا حديثا جدا أن البعوضة هي سبب جملة أمراض خطيرة قد تقتل الإنسان؛ فأولاها العلم الاهتمام، فقد كان الاعتقاد السائد أن مرض الملاريا ينشأ من الهواء الفاسد من المستنقعات؛ فسمي بالإيطالية إلى اليوم ملاريا Mal Aria؛ والعبارة تعني الهواء الفاسد، وفي عام ١٨٨٠ اكتشف الطبيب العسكري الفرنسي ألفونس لافران Alphonse Laveran أثناء إقامته بالجزائر كائنات في دم المرضى بالملاريا؛ فأدرك أن هذه الطفيليات هي السبب، وفي عام ١٨٩٨ ربط رونالد روس Ronald Ross الطبيب البريطاني في الهند بين طفيليات الملاريا والبعوض.

كارلوس فينلاي Carlos Finlay
(١٨٣٣ - ١٩١٥)

ميجور والتر Major Walter
(١٨٥١ - ١٩٠٢)

وفي عام ١٨٨١ افترض كارلوس فينلاي Carlos Finlay أن سبب مرض الحمى الصفراء هو البعوض، وفي عام ١٩٠٠ تمكن ميجور والتر Major Walter من التأكد من أن البعوض هو الناقل فعلا لمرض الحمى الصفراء.

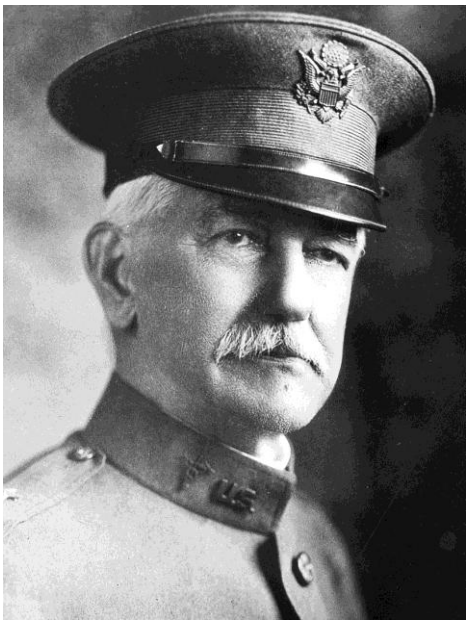

ويليام جورجاس William Gorgas
(١٨٥٤ - ١٩٢٠)

وبمقاومة البعوض في هافانا عام ١٨٩٨ أمكن لويليام جورجاس William Gorgas تقليل انتشار الحمى الصفراء، وبمقاومة البعوض أثناء شق قناة بنما أمكنه عام ١٩٠٤ تقليل انتشار مرضي الحمى الصفراء والملاريا.

باتريك مانسون Patrick Manson
(١٨٤٤ - ١٩٢٢)

وفي عام ١٨٧٧ اكتشف باتريك مانسون Patrick Manson (١٨٤٤ - ١٩٢٢) أن طفيل الفلاريا هو سبب داء الفيل عند الإنسان، وبعد ذلك بسنوات طويلة اكتشف في سنة ١٩٠١ أن البعوض هو الناقل للمرض[١٠]، فكيف إذن سبق النظم منذ القرن السابع ونفى الاستخفاف ببعوضة والاستحياء عن ذكرها وأولاها الاهتمام!؛ ولكل باحث عن الحق يُهديه الحق الجواب اليقين: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ١٠يونس:٥٣.

[١٠] موسوعة ويكيبيديا، والموسوعة العربية العالمية - النسخة الإلكترونية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (مادة بعوضة).

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال القرطبي: "قَالَ الْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُمَا: مَعْنَى (فَما فَوْقَها) مَا دُونَهَا؛ أَيْ.. (ما) فَوْقَهَا فِي الصِّغَرِ..، وَقَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ: الْمَعْنَى فِي الْكِبَرِ"[11]، وعلة القول بالصغر مستمدة من دلالة السياق على القلة والحقارة؛ أما علة إهمال السياق وهو عماد الدلالة وتعطيل الإخبار بغيب فهي التصور بأنه ليس شيء أصغر من البعوضة، قال محيي الدين درويش: "(فَمَا فَوْقَهَا) فما تجاوزها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا؛ وهو القلّة والحقارة"[12]، وقال ابن كثير: "قوله:(فَمَا فَوْقَهَا) فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا: فَمَا دُونَهَا فِي الصِّغَرِ وَالْحَقَارَةِ..، وَهَذَا قَوْلُ الْكِسَائِيِّ وَأَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ الرَّازِيُّ: وَأَكْثَرُ الْمُحَقِّقِينَ..، وَالثَّانِي..: فَمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَحْقَرَ وَلَا أَصْغَرَ مِنَ الْبَعُوضَةِ، وَهَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ"[13].

وقال الشعراوي: "الحق تبارك وتعالى يقول: (إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)..، لقد فهموا قوله: (فما فوقها) أنها أكبر منها والمراد غير ذلك؛ لأنه سبحانه ضرب المثل بالأقل، لذلك قال: (فَمَا فَوْقَهَا)؛ من باب فما فوقها في الاحتقار منكم والقلة في الحجم (أي).. الضآلة..، وهم.. كذبوا بالآيات الكونية.. الآيات المعجزات التي يثبت بها الرسول صدق بلاغه عن الله..، انظر خلف العبارة لتجد المعنى..، وحين تفكرنا وتدبرنا وجدنا أن معنى (فَمَا فَوْقَهَا) لا يعني الأعلى منها..، لذلك لا يجب أن تنظر إلى معنى ومدلول اللفظ حسب ظاهره فقط؛ بل لما خلف اللفظ (أي في سياقه) "[14]، "نقول المراد بما فوقها؛ أي في المعنى المراد وهو الصّغر، أي ما فوقها في الصّغر؛ لا أكبر منها"[15]، و"ليس معنى: {فَمَا فَوْقَهَا).. في الكِبَر كما يظن البعض.. وهو من باب أَوْلى، لكن المراد ما فوقها في الصِّغَر وفيما تستنكرونه من الضآلة؛ كالكائنات الدقيقة والفيروسات"[16]، "فهو سبحانه القادر على ضَرْب الأمثال حتى بأقلّ المخلوقات، وأتفهها في نظرنا..، فلا تستقلّ أمر هذه البعوضة، ولا تستحقر أنْ يجعلها الله مثَلاً..؛ لأن في هذه البعوضة كل أجهزة تكوين الحياة التي فيك وفي أضخم الحيوانات مثل الفيل والجمل، ولأن هذه البعوضة التي تستحقرها.. أقوى منك؛ وقد تُعجزك أنت على قوتك وحيلتك"[17]، "وفضلاً عن (البعوض)..؛ ألا ترى الميكروبات التي لا تراها بعينك المجردة، ومع ذلك تصيبك وأنت القوى بما يؤرقك وينغص عليك، إذن..: (ما فوقها) أي في الصِّغَر..؛ أي: ما دونها صِغَراً؛ لأن عظمة الخلق (تتجلى أكثر).. بالشيء الأقلّ حجماً الأكثر دِقَّة"[18]، و"ليس المراد ما فوقها في الكبر"[19]، "قالوا: (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)؛ ولم يفطنوا إلى أن هذه البعوضة دقيقة الحجم خلقها معجزة..؛ فكل شيء ليس للإنسان اختيار فيه تراه يؤدي مهمته بدقة عالية"[20]، "ولك أن تتأمل البعوضة..، وكيف أن لها خرطوماً دقيقاً ينفذ من الجلد، ويمتصّ الدم..، (والميكروب) الذي لا تراه بعينك المجردة؛ ومع ذلك يتسلل إلى الجسم فيمرضه ويهدّ كيانه وربما انتهى به إلى الموت؛ إذن: ففي هذه المخلوقات الحقيرة في نظرك عبر وآيات، لكن لا يعقلها إلا العالمون..، (والعالم بالحقائق) أَوْلَى الناس بالإيمان بالله؛ لأن لديه من العلم ما يكتشف به أسرار الخالق في الخَلْق"[21].

وقال القاسمي: "ومعنى الآية: إنه تعالى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة؛ ترك من يستحيي أن يتمثّل بها لحقارتها، أي لا يستصغر شيئا يضرب به مثلاً؛ ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة"[22]، وقال محمد رشيد رضا: "وَالْمُرَادُ بِمَا فَوْقَ الْبَعُوضَةِ مَا عَلَاهَا وَفَاقَهَا فِي مَرْتَبَةِ الصِّغَرِ وَمِنْهَا.. الْمِيكْرُوبَاتُ الَّتِي لَا تُرَى إِلَّا بِالنَّظَّارَاتِ الْمُكَبِّرَةِ..، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَتْرُكُ ضَرْبَ مَثَلٍ مَا مِنَ الْأَمْثَالِ مِنْهُ سَوَاءٌ كَانَ بَعُوضَةً أَوْ أَصْغَرَ مِنْهَا حَجْمًا وَأَقَلَّ عِنْدَ النَّاسِ شَأْنًا"[23].

---

[11] أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١\ ٢٤٣).

[12] محيي الدين درويش؛ إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص سورية، الطبعة الرابعة؛ ١٤١٥ هـ (١\ ٦٨).

[13] أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١\ ٢٠٧).

[14] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٧\ ٤٤٦٥-٤٤٦٧).

[15] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٤\ ٨٧٣٧).

[16] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٨\ ١١٥٤٩).

[17] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٣\ ٨٠٩٣).

[18] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٨\ ١١١٧٧).

[19] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٦\ ٩٩٣٤).

[20] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١\ ٢١١).

[21] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١١٨\ ١١١٨٢).

[22] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١\ ٢٧٨).

[23] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١\ ١٩٨).

وقال الرازي: "اعلم أنه بيَّنَ (هنا) بالدليل كون القرآن معجزاً..؛ وَالْبَعُوضُ.. مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ صَغِيرٌ جِدًّا وَخُرْطُومُهُ فِي غَايَةِ الصِّغَرِ؛ ثُمَّ إِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مُجَوَّفٌ، ثُمَّ ذَلِكَ الْخُرْطُومُ مَعَ فَرْطِ صِغَرِهِ.. يَغُوصُ فِي جِلْدِ الْفِيلِ وَالْجَامُوسِ عَلَى ثَخَانَتِهِ..، (و)أَرَادَ بِمَا فَوْقَهَا فِي الصِّغَرِ؛ أَيْ بِمَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهَا، وَالْمُحَقِّقُونَ مَالُوا إِلَى هَذَا الْقَوْلِ.. (لأنه) فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ ثَانِيًا أَشَدَّ حَقَارَةً مِنَ الْأَوَّلِ..، (و)الشَّيْءَ كُلَّمَا كَانَ أَصْغَرَ كَانَ الِاطِّلَاعُ عَلَى أَسْرَارِهِ أَصْعَبَ، فَإِذَا كَانَ فِي نِهَايَةِ الصِّغَرِ لَمْ يُحِطْ بِهِ إِلَّا عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَكَانَ التَّمْثِيلُ بِهِ أَقْوَى فِي الدَّلَالَةِ عَلَى كَمَالِ الْحِكْمَةِ مِنَ التَّمْثِيلِ بِالشَّيْءِ الْكَبِيرِ..، يُقَالُ إِنَّ فُلَانًا فَوْقَ فُلَانٍ فِي اللُّؤْمِ وَالدَّنَاءَةِ. أَيْ هُوَ أَكْثَرُ لُؤْمًا وَدَنَاءَةً مِنْهُ، وَكَذَا إِذَا قِيلَ هَذَا فَوْقَ ذَلِكَ فِي الصِّغَرِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ صِغَرًا مِنْهُ..، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا).. قَالَ بَعْدَهُ (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) حَتَّى يَضْرِبَ الْمَثَلَ.. بِمَا هُوَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا"[٢٤].

وقال محمد بن عمر الجاوي: "(إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما)، أي إن الله لا يترك أن يبين للخلق مثلا؛ أيّ مثل كان: (بَعُوضَةً فَما فَوْقَها)..؛ في الغرض المقصود من التمثيل (وهو الضآلة؛ أي أصغر منها)..، والمراد بالبعوضة هنا الناموس؛ وهو.. في غاية الصغر..، وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد.. الجمل فيبلغ منه الغاية؛ حتى إن الجمل يموت من قرصته، (وإن لم يكن معلومًا بوجود ما هو أصغر من بعوضة ويميت مثلها)؛ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ (تعالى) ضرب المثل الْحَقُّ.. فلا يسوغ إنكاره، لأنه ليس عبثا (ذُكِر)؛ بل هو مُشتمل على.. أسرار"[٢٥].

وقال ابن عاشور: "و(بَعُوضَةً) بَدَلٌ أَوْ بَيَانٌ مِنْ قَوْلِهِ: (مَثَلًا)، وَالْبَعُوضَةُ.. قَدْ جُعِلَتْ.. مَثَلًا لِشِدَّةِ الضَّعْفِ وَالْحَقَارَةِ، وَقَوْلُهُ: (فَما فَوْقَها) عُطِفَ عَلَى (بَعُوضَةً)..، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ (ما فَوْقَها) عَلَى (بَعُوضَةً) أَفَادَتْ تَشْرِيكَهُمَا فِي ضَرْبِ الْمَثَلِ"[٢٦]، "وَلِضَرْبِ.. الْأَمْثَالِ.. شَأْنٌ لَيْسَ بِالْخَفِيِّ فِي إِبْرَازِ خَبِيئَاتِ الْمَعَانِي وَرَفْعِ الْأَسْتَارِ عَنِ الْحَقَائِقِ (الخفية): ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾؛ وَلِهَذَا أُتْبِعَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ بِجُمْلَةِ: (وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ) العنكبوت:٤٣"[٢٧].

[٢٤] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٢ ٣٦١؛ ١٣٢ ٣٢٨).

[٢٥] محمد بن عمر الجاوي؛ مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٧هـ (١١ ١٣).

[٢٦] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٣٦٢).

[٢٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٠ ٢٥٦).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Biology

علم الأحياء

المَوْضُوع Subject

Mosquitoes

البعوض

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٦النحل:٦٨و٦٩.**
- **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ٢٢الحج:٧٣.**
- **﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٧النمل:١٨.**
- **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٩العنكبوت:٤١.**
- **﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ١٠١القارعة:٤.**
- **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ٧الأعراف:١٣٣.**
- **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٥٤القمر:٦و٧.**
- **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ ٣٤سبأ:١٤.**